

موت الفجأة

تأليف
أحمد بن محمد بن ناصر التام

دار الإيمان
الإسكندرية

دار القمة
الإسكندرية

موت الفجأة

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: موت الفجأة
تأليف: أحمد بن محمد بن ناصر التـــام
رقم الإيداع: ٦١٠٨٦/٢٠٢١م.
نوع الطباعة: ١ لون .
عدد الصفحات: ٣٢ .
القياس: ١٢X١٧م.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / عادل المسلماني .

٢٠٢١

الإدارة
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار
جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

موت الفجأة

تأليف

أحمد بن محمد بن ناصر التـــام

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعلى آله وصحبه .

ثم أما بعد :

فإن الله -سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ- قدَّر الآجال ، وجعل لكل نفس أجلاً معلومًا ، فقال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران:١٨٥] ، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾[النساء:٧٨] ، وقال -سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الأعراف:٣٤] ، وقال

جل في عُلاه مخاطبًا رسوله المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر:٣٠] .

فـالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قدَّر الآجـال، وجعل الموت نهاية كل حي، وأخبر عن ذلك في كتابه الكريم فقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن٢٦-٢٧] ، وقال- جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨] .

فهذه الآيات على ظواهرها، فكل شيء هالك إلا وجهه، كل الناس يموتون، كل الجن يموتون، كل الملائكة يموتون، ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

فالموت هو النهاية الحتمية لكل مخلوق في ساعة محددة، لا تتقدم ولا تتأخر ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد:٣٨]، ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون:١١] ، ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأعراف:٣٤] .

فالموت لا يفرق بين الغني والفقير ، والرجل والمرأة، والطفل والشيخ، والحاكم والمحكوم، والعاقل والمجنون ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الواقعة:٦٠]، والموت يفرق الجماعات وينغص النِّعم، قال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ** » ، **(رواه الترمذي)** ، وقال السيوطي في حاشيته : « بالذال أي قاطعها ، والموت هو أكبر الرزايا وأعظمها ، كيف لا وقد سماه الله -عَزَّوَجَلَّ- مصيبة ، فقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾ [المائدة:١٠٦] .

والموت لا راد له ولا دافع إذا نزل بساحة أحدنا ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحزاب:١٦] .

والمـوت مهما تحصنت منه وامتنعت، فلا يفيدك تحصينك منه، ولا امتناعك ، لا بالقصور المشيدة، ولا بالخدم والحرس، ولابغير ذلك من تلكم التحصينات

الواهية، قال -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[النساء:٧٨] .

والمــوت يأتيك فجأة ، فأعد نفسك للقائه ، قال -تعالى- : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان :٣٤] .

فالموت حق ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرحمن:٢٦] ، ولابد أن تموت ، فاستعد للموت ، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة :٢٨١] .

فالمطلوب منا جميعًا الاستعداد له ، وترويض النفس على ذلك، فالإنسان لا يدري ما يحصل له في حله وترحاله، ونومه ويقظته ، ولا يدري إذا أصبح هل سيأتي عليه المساء، وإذا أمسى هل سيأتي عليه الصباح، وكان ابن عمر-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يقول: « **إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِك، وَمِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك**». (رواه البخاري) .

ولذا يجب على المسلم التيقظ والحذر من مصارع السوء، والخاتمة السيئة، فكل إنسان يُبعث على ما مات عليه، فالأجل يأتي بغتة ، وقد لا تسعف بطول العمر لكي تستدرك ما فات ، فالله لا يؤخر نفس جاء أجلها ، قال -تعالى- : ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:١١] .

وذكر الموت معين على الاستعداد له ، ففي الصحيحين من حديث أنس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ ،فَإِذَا قَوْمٌ يَتَحَدَّثُونَ وَيَضْحَكُونَ ، فَقَالَ :« **أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا** » .

وفي سُنن ابن ماجه عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- أنَّه رَسُول اللَّه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُئِلَ: أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ ؟، قَالَ: « **أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا ، أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ** » .

والموت يأتي بعد آلام وأسقام وأوجاع يُعاني منها المرء،

أو يأتي بغتة في حال صحة وعافية ، وينزل ساحة من ظن أنه منه بعيد، فليس عند أحدنا الخبر اليقين عن موعد الموت والفراق .

ومن الموت الذي تزايد في العصور المتأخرة، موت الفجأة بجميع أنواعه وصوره، ولما كان حال أكثر الناس الغفلة والنسيان للموت ، والاستعداد له ، وخاصة موت الفجأة، استخرت الله-جَلَّوَعَلَا- في كتابة هذه الأوراق ، لعله ينتفع بها القارئ ، ويستفيد منها المطالع الباحث، ومن طالعها لا يبخل علينا بالدعاء ، وإصلاح ما يراه مجانبًا للصواب، فهذا عمل البشر ، لابد أن يقع فيه الخطأ والسهو .

والبحث عبارة عن كلام مختصر في باب موت الفجأة، هذبته من كتب أهل العلم ، ورتبته وأعددته من تعريف إلى مباحث وفوائد وتتمات زوايد ،نسأل الله التوفيق والسداد .

كتبته في مدينة الطائف

١٧/رجب/١٤٣٦هـ .

تعريف الموت

تعريف الموت في اللغة :

[م و ت] مصدر مات ، والموت ضد الحياة، وهو السكون وكل ما سكن فقد مات .

قال -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر:٤٢] .

وقال -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام:٦٠] .

وفي صحيح (البخاري) أَنَّ رَسُولُ الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قَالَ : «**النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَأَهْلُ الْجَنَّة لا يَنَامُونَ**» .

وفي (الصحيحين) قَالَ رَسُولُ الله-صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: «**الْحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا ، وإِلَيْهِ النُّشُورُ**» .

فشبه سكون النوم بالموت ، على أن النوم هو الوفاة

«الصغرى» ، فدل هذا على صحة هذا التعريف الذي ذكره الجرجاني في التعريفات .

وفي الشرع: « خروج الروح من الجسد ومفارقته، وليس الموت بعدم محض ، أو فناء صرف، إنما هو انقطاع الروح عن البدن انقطاعًا تامًا في الدنيا ، حتى يتحول من دار العمل والتكليف إلى دار البرزخ والسؤال، فالميت يجلس في قبره ، وتُعاد روحه في جسده ، ويُسأل ويُجيب، فهذه هي حقيقة الحياة البرزخية .

والروح تكون باقية بعد مفارقة الجسد ، إما مُنعمة وإما مُعذبة ، على حسب أعمال صاحبها .

قال –سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ–: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران :١٦٩] .

وقال –عَزَّوَجَلَّ– : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [البقرة:١٥٤] .

تعريف الفجأة :

قال صاحب القاموس المحيط :

فَجَأَهُ ، كَسَمِعَهُ وَمَنَعَهُ .

والفُجَاءَةُ : مَا فَاجَأَكَ .

وفي لسان العرب:

فَجِئَه الأَمْرُ وفَجَأَه، بالكسر والنصب، يَفْجَؤُه فَجْأً وفُجَاءةً، بالضم والمدّ .

إلى أن قال: « والفُجاءةُ: ما فاجأَكَ. ومَوْتُ الفُجاءةِ: ما يَفْجَأُ الإِنسانَ من ذلك » .

فيكون موت الفجأة على ما سبق بيانه هو : ما نزل بالمرء من غير مقدمات تدل على الموت ، كالشيخوخة والمرض، ونحو ذلك .

والمتأمل في هذا الزمان ، يجد أن الموت بهذا النوع قد زاد وانتشر وتفاقم ، فكم سمعنا عن موت بالسكتة

القلبية ، أو حـوادث السيارات، أو القتل السريع المباغت، كقتل اللصوص للمسافرين في الطرقات ، أو الجلطات الدماغية ، والحرق والغرق والخنق، ونحو ذلك.

فصل
في تسمية موت الفجأة بالموت الأبيض

ويسمى موت الفجأة الموت الأبيض ، قال المناوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في فيض القدير شرح الجامع الصغير ما نصه: قال الزمخشري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

معنى بياضه خلوه عما يحدثه من لا يُعافى من التوبة والإستغفار وقضاء حق، وغير ذلك ، من قولهم : «بيضت الإناء» إذا أفرغته، وهو من الأضداد.

ويروى عن أنس بن مالك -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-(مرفوعًا) قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:« **يُوشَكُ أَنْ يَظْهَر فِيْكُمْ المَوْتُ الأَبْيَض**» ، قالوا : وما هو يا رسول الله؟، قال : «**مَوتُ الفجَأة**» .

فصل

في بعض الأخبار والآثار الواردة عن موت الفجأة

١- عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَٱللَّهُعَنهَا- قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- عَنْ مَوْتِ الْفَجْأَةِ؟ فَقَالَ: «**رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْفَاجِرِ**» (رواه أحمد في مسنده، والبيهقي في الكبرى، والطبراني في الأوسط).

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناده واهٍ .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه عبيد الله بن الوليد الرصافي وهو متروك .

لكنه قد جاء من طرق أُخرى ، وصح إسناده موقوفًا عند البيهقي قال أخبرنا أبو عمرو الأديب، أنبأ أبو بكر الإسماعيلي ، ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، ثنا أبو

داود المباركي ، ثنا أبو شهاب ، عن الأعمش، عن زبيد، عن أبي الأحوص، عن عبد الله وعائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: «**أَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْفَاجِرِ، وَرَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ**» .

زبيد هو ابن الحارث اليامي من الأعلام الثقات .

وجاء في مصنف عبد الرزاق الصنعاني-رَحِمَهُ اللَّهُ- عن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- مرفوعًا ، وفيه سَمِعْتُ رَسُول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَوْتُ الْفُجَاءَةِ تَخْفِيفٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَأَخْذَةُ أَسَفٍ عَلَى الكَافِرِ**» .

في سنده يحيى بن العلأ كذبه أحمد ، وفي تخريج الإحياء للعراقي -رَحِمَهُ اللَّهُ- إسناده صحيح موقوفًا .

٢- عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بجدار أَوْ حَائط مَائِلٍ فَأَسْرَعَ الْمَشْيَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّكَ خِفْتَ هَذَا الْحَائِطَ؟ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:«**إِنِّي أَكْرَهُ مَوْتَ الْفَوَاتِ**». (أخرجه أحمد في مسنده بدون زيادة « يَا رَسُولَ الله،

كَأَنَّكَ خِفْتَ هَذَا الْحَائِطَ؟ » ، وضعفه الشيخ أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط . ورواه أبو يعلى في مسنده وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير) .

وقال ابن حجر العسقلاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في موافقة الخبر الخبر : في سنده إبراهيم بن إسحاق وهو الذي يقال له إبراهيم بن الفضل وهو ضعيف ، ووهم من جعلهما اثنين .

٣- عن عبيد بن خالد السلمي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- وكان من أصحاب النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَوْتُ الْفُجَاءَةِ، أَخْذَةُ أَسَفٌ** » .

(رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سُننه ، وقد حدث به عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مرفوعًا) .

وفي رسالة أبي داود لأهل مكة أن ما سكت عنه فهو صالح، وممن حكم بصحته النووي في المجموع ، والقسطلاني في إرشاد الساري ، قال : إسناده رجاله

ثقات ، وابن حجر العسقلاني في موافقة الخبر الخبر قال إسناده صحيح ، والسيوطي في الجامع الصغير يُحسِّنَهُ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ، وصحيح الجامع وشعيب الأرنؤوط في تخريج سُنن أبي داؤود .

٤- عَنْ أَنَس بْن مَالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مِنَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى الْهِلَالُ قَبَلاً فَيُقَالُ : لِلَيْلَتَيْنِ ، وَأَنْ تُتخذَ المَسَاجِدُ طُرُقاً ، وَأَنْ يَظْهَر مَوْتُ الْفُجَاءَةِ** » (رواه الطبراني في الأوسط ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع) .

٥- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاص -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **اسْتَعَاذَ مِنْ سَبْع مَوْتَاتٍ: مَوْتِ الْفَجْأَةِ، وَمِنْ لَدْغِ الْحَيَّةِ، وَمِنْ السَّبُعِ، وَمِنْ الْحَرَقِ، وَمِنْ الْغَرَقِ، وَمِنْ أَنْ يَخِرَّ عَلَى شَيْءٍ، أَوْ يَخِرَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَمِنْ الْقَتْلِ عِنْدَ فِرَارِ الزَّحْفِ**» . (أخرجه أحمد في مسنده وصحح إسناده أحمد شاكر .

٦- قال عبد الرازق الصنعاني في مصنفه عن الحسن ابن عمارة ، عن أبي إسحاق الهمذاني عَن الْحَـواريِّ بْن زِيَاد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ إِذَا كَثُرُ الْفَالِجُ وَمَوْتُ الْفُجَاءَةِ**» .

قال: وأخبرني حبيب عن الحواري بن زيادة عن أنس ابن مالك-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-،أن رَسُولُ الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **لَيَفْشُوَنَّ الْفَالِجُ النَّاسَ حَتَّى يُظَنُّ أَنَّهُ طَاعُونٌ** » .

ولقد ساق ابن الجوزي-رَحِمَهُ اللَّهُ- في كتابه «العلل المتناهية» جملة من الروايات في شأن موت الفجأة ، ومنها :

٧- عَنْ عَبْدَ اللهِ بْن مَسْعُود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أن رَسُولُ الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَا أُحِبُّ مَوْتًا كَمَوْتِ الْحِمَارِ**» . قِيلَ وَمَا مَوْتُ الْحِمَارِ قَالَ : « **مَوْتُ الْفَجْأَةِ** » .

٨- عَنْ أَنَس بْن مَالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَوْتُ الْفُجَاءَةِ رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَعَذَابٌ لِلكَافِرِيْن**» .

إلا أن ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عقب على هذه الأحاديث بقوله : إن في سند حديث عبد الله بن مسعود، أبو معشر، وقد ضعفوه ، ونقل عن يحيى أنه قال : ليس بشيء ، وكذلك في سنده، حسام ، قال: وقد قال أحمد : مطروح الحديث ، ويحيى يقول: ليس حديثه بشيء .

أما حديث أنس-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- فقال: فيه سمعان وهو مجهول منكر الحديث.

تنبيه : الإمام ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-ساق جملة أخرى من الأحاديث في كتابه هذا ، إلا أنني تركتها اختصارًا وخشية التكرار .

فائدة

من ترجمة الإمام البخاري في صحيحه

قال الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في كتاب الجنائز (بَابُ مَوْتِ الْفُجَاءَةِ ، الْبَغْتَةِ) .

قَالَ ابْنُ رَشِيد : هُوَ مَضْبُوطٌ بِالْكَسْرِ عَلَى الْبَدَل ، وَيَجُوزُ الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأ مَحْذُوف ، أَيْ هِيَ الْبَغْتَةُ .

ثم قال الحافظ: وَقَالَ ابْنُ رَشِيد أَيْضًا : مَقْصُودُ الْمُصَنِّف وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمَكْرُوه ، لِأَنَّهُ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ كَرَاهِيَتُهُ لَمَّا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ بِأَنَّ أُمَّهُ افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا ، وَأَشَارَ-أي البُخاري في صحيحه في ترجمته لموت الفجأة- إِلَى مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِلَفْظ: «**مَوْتُ الْفَجْأَة أَخْذَةُ أَسَف**» . وَفِي إِسْنَاده مَقَالٌ ، فَجَرَى عَلَى عَادَته فِي التَّرْجَمَة بِمَا لَمْ يُوَافِقْ شَرْطَهُ ، وَإِدْخَالُ مَا يُومِئُ إِلَى ذَلِكَ وَلَوْ مِنْ طَرْف

خَفِيٍّ . انتهى كلام ابن رشيد- نقلاً عن فتح الباري- .

ثم تعقب الحافظ كلام ابن رشيد بقوله:وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيث عُبَيْد ابْن خَالِد السُّلَمِيِّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ ، إِلَّا أَنَّ رَاوِيهِ رَفَعَهُ مَرَّةً وَوَقَفَهُ أُخْرَى .

فوائد نفيسة :

١- قال الحافظ المنذري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كما في شرح سُنن أبي داود: وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ حَدِيث عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود وَأَنَس بْن مَالِك وَأَبِي هُرَيْرَة وَعَائِشَةَ وَفِي كُلٍّ مِنْهَا مَقَالٌ.

وَقَالَ الْأَزْدِيُّ-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وَلِهَذَا الْحَدِيث طُرُقٌ عَنْ رَسُول الله -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحَدِيثُ عُبَيْد هَذَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَرِجَالُ إِسْنَاده ثِقَاتٌ وَالْوَقْفُ فِيهِ لَا يُؤَثِّرُ فَإِنَّ مِثْلَهُ لَا يُؤْخَذُ بِالرَّأْيِ وَكَيْفَ وَقَدْ أَسْنَدَهُ مَرَّةً الرَّاوِي وَاللَّهُ -عَزَّوَجَلَّ- أَعْلَمُ . أ. هـ .انْتَهَى كَلَامُ الْمُنْذِرِيِّ .

٢- قَالَ ابن بَطَّال-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: كما في فتح الباري :

« وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِمَا فِي مَوْتِ الْفَجْأَةِ مِنْ خَوْفِ حِرْمَانِ

الْوَصِيَّةِ،وَتَرْكِ الاسْتِعْدَادِ لِلْمَعَادِ بِالتَّوْبَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.وَقد روى ابن أَبِي الدُّنْيَا في كِتَابِ الْمَوْتِ مِنْ حَدِيثِ أَنَس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- نَحْوَ حَدِيثِ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ وَزَادَ فِيهِ «**الْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ وَصِيَّتَهُ**» . أ. هـ .

٣- وقال علي القاريء -رَحِمَهُ اللَّهُ- : قَالُوا: « رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ الْأَسَفِ بِكَسْرِ السِّين وَفَتْحِهَا فَالْكَسْرُ الْغَضْبَانُ وَالْفَتْحُ الْغَضَبُ أَيْ مَوْتُ الْفَجْأَةِ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ غَضَبِ اللَّهِ فَلَا يَتْرُكُهُ لِيَسْتَعِدَّ لِمَعَادِهِ بِالتَّوْبَةِ ، وَإِعْدَادِ زَادِ الْآخِرَةِ، وَلَمْ يُمْرِضْهُ لِيَكُونَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ .انْتَهَى» أ.هـ. من عون المعبود شرح سُنن أبي داؤود .

٤-وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-:«الْأَسِفُ الْغَضْبَانُ آسَفُونَا أَغْضَبُونَا وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ وَمَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ : أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوجِبُ الْغَضَبَ عَلَيْهِمْ وَالِانْتِقَامَ مِنْهُمْ» أ.هـ . (عون المعبود).

٥- قال المناوي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في فيض القدير: كأخذة من

مضى من العصاة المردة ، كما قال تعالى- : ﴿ **أَخَذْنَهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ** ﴾ وهذا وارد في حق الكفار والفجار لا فى المؤمنين الأتقياء، كما أفصح به الخبر الآتي . أ هـ .

ومقصوده بالخبر الآتي ، رواية الحديث الأخرى التي فيها «**رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْفَاجِرِ**» ، والله أعلم .

٦- قال ابن العربي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « وليس موت النوم فجأة، إنما الفجأة موت اليقظة بغتة » . أ هـ. «فيض القدير».

٧- قال المناوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في الفيض : «وقد مات إبراهيم الخليل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- بلا مرض، كما بينه جمع، وقال ابن السكن: توفي إبراهيم وداود وسليمان -عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ- فجأة ، قال: وكذلك الصالحون ، وهو تخفيف على المؤمنين. أ . هـ .

٨- قال النووي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في تهذيبه:«هو تخفيف ورحمة في حق المراقبين» أ .هـ .(نقلاً عن فيض القدير) .

٩-

تَؤَمِّلُ في الدُنيا طَويلاً وَلا تَدري إِذا جَنَّ لَيلٌ هَل تَعيشُ إِلى الفَجرِ
فَكَم مِن صَحيحٍ ماتَ مِن غَيرِ عَلَّةٍ وَكَم مِن عَليلٍ عاشَ دَهراً إِلى دَهرِ
وَكَم مِن فَتىً يُمسي وَيُصبِحُ آمِناً وَقَد نُسِجَت أَكفانُهُ وَهوَ لا يَدري

١٠- قال الفيروز آبادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في رسالته : « ما لم يثبت فيه حديث من الأبواب» :

باب موت الفجأة لم يصح فيه شيء ، وحديث: «**رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْفَاجِرِ**» لم يثبت . أ هـ .

وهذا الكلام منه مـردود ، فقد صح عن عبيد بن خالد السلمي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- مرفوعًا وموقوفًا ، وإن كان الموقوف أرجح، إلا أن مثل هذا لا مجال فيه للاجتهاد ، فقد يكون له حكم الرفع .

فصل

في التصدق عن من مات فجأة

قال الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ:أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا-: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا،وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ : « **نَعَمْ** » .

قال الحافظ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-في الفتح:والرجل الذي أتى النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-هو سعد بن عبادة،واسم أمه عمرة.

ثم قال الحافظ : «افْتُلِتَتْ » أي : سُلبت، أفتلت فلان، أي: مات فجأة ، والفلته والافتلات ما وقع بغتة من غير رؤية. أ هـ . كلامه بتصرف يسير .

من فوائد الحديث : جواز التصدق عن من مات فجأة، وأن ثواب ذلك الخير يصل إليه .

الخاتمة

وفيها فوائد وتتمات

١- موت الفجأة لا يمدح مُطلقًا ولا يذم كذلك مطلقًا، فهو قد يكون في حق المؤمن ممدوح، وفي حق الكافر مذموم، لما جاء في الحديث: «**رَاحَـةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْفَاجِرِ**» .

٢- كثرة مـوت الفجأة في الأزمنة المتأخرة، فمن ذبحات صدريَّة، إلى جلطات دماغيَّة، إلى سكتات قلبيَّة، إلى حوادث مختلفة بالسيارات والطائرات والقطارات وغيرها، فكم من صحيح سليم خرج ولم يعد، وكم من أسرة سافرت ولم تصل، وكم من مسافر عائد إلى أهله وهم في شوق وانتظار لوصوله فما وصل، وهكذا فقد يفاجئنا الموت ونحن لا مرض نشتكي، ولا علة نتألم منها، ويفاجئنا كبارًا وصغارًا ، ذكورًا وإناثًا ، يفاجئنا في حالة النوم أو اليقظة ، بلا موعد محدد للمفاجئة ، والمؤمن كيِّس

فطن يعد نفسه باستمرار لمثل هذه اللحظات العصيبة .

٣- موت الفجأة قـدَّره الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- على من شاء من عباده ، فهو راحة للطائع المؤمن لحكمة يعلمها الله من تخفيف آلام الموت عليه وسكراته ، وقد يكون شفقة عليه فلا يحتاج لمن يُعالجه ويخدمه حال مرضه فيثقل عليه، ولا يتسخط ما نزل به من الآلام والأسقام قبل موته ، فكان هذا الموت راحة في حقه ، لأن المؤمن على حالة حسنة في جميع أحواله ، بخلاف العاصي الكافر ففيه حرمان له من الوصية، وعدم إمهال له لكي يستدرك ما فات ، ويعمل لما يصلح من حاله من توبة واستغفار وأعمال صالحة ، نسأل الله الخاتمة الحسنة .

٤- ينبغي للمسلم ملازمة الأذكار الشرعية والأدعية النبوية ، التي يترتب عليها الأجر والمثوبة والوقاية من ميتة السوء، فقد كان رسول الله يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ**

حَتَّى يُصْبِحَ ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ » (رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجهْ وصححه الوادعي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في الصحيح المسند وحسَّن إسناده الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في تحفة الأخيار .

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عُمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: كَانَ من دعاء رسُول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وفُجَاءةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**» .

٥- ينبغي أن يعلم أن كل شيء بقدر ، وأن الله قد كتب الموت على كل الخلق،قال- جَلَّ وَعَلَا -:﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ** ﴾[آل عمران:١٨٥] ، وقال- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -:﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ** ﴾[القصص:٨٨] .

فالكل سيموت في الوقت المحدد له ، والذي قدر ذلك وقضاه هو خالق الخلق وأرحم الراحمين ، فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، فعن عَبْدُ الله ابْن مَسْعُودٍ

-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: حَدَّثَنَا رَسولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قالَ: « **إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فيُؤْمَرُ بأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، ويُقَالُ له: اكْتُبْ عَمَلَهُ، ورِزْقَهُ، وأَجَلَهُ، وشَقِيٌّ أوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ، ...** » (رواه البخاري) .

فكل من مات مات بأجله المحتوم وقدره المكتوب ، قال-عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران:١٤٥].

٦- على المسلم أن يكتب وصيته في حال صحته أو مرضه لا فرق ، المهم أن يتعاهدها فإذا كانت هناك حقوقًا فتحفظ بهذه الوصية ، وإذا كانت هناك أشياء تبرأ ذمته بها أوضحها وبينها ، وإذا استجد شيء غيَّر في الوصية وأضاف ما احتاج إليه أو يعيد كتابتها مرة أخرى، فقد يموت بالفجأة ولا يستطيع استدراك ما

فاته ، فعَن ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بمنْكبيَّ فقَالَ: « **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْلٍ** » .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يَقُوْلُ:« إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ. وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (رواه البخاري).

أخي المسلم : هذا جهد المُقل ، كتبته نصيحة لنفسي، ولمن يطلع عليه، رجاء النفع ودعوة صالحة .

وهذا من باب التعاون على البر والتقوى ، والمناصحة فيما بين المسلمين ، وتذكير بعضهم لبعض ، ودلالة على الخير.

أسأل الله بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلى أن يغفر لي ولكم ويختم لنا بالخاتمة الحسنة ، ويجعلنا من ورثة جنات النعيم ، إنه أرحم الراحمين .

هذا ما تيسر لي ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .